كان هذا الكانوا بذلك مبادرين وتعلقه في معبوده محتج
ولكان توبيخهم له بنهيه عما كان يعبد قبل افظع وا قطع
في الحجة من توبيخه بنهيه عن تركهم الهتهم وما كان يعبد
اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم
يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على
تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام
وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت
به اخبار المبدا ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم صلى الله عليه
وسلم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال
ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى اين شركاي اي عندكم
ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله عز
وجل طرفة عين قول الله تعالى عنه واذ قال ابرهيم لابيه ازر

اذ

١٩

اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العلمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل الالم يويدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم
في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم
قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك
كذلك ومثله قول الشاعر

تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك
بين اهل الضلال فعصمك من ذلك فهداك للايمان والى
ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن
شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه
به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الى الاسلام حكى معناه
القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله

Copyright King Saud University